

سلسلة
كُنْ
كن رفيقاً
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
دار الغوثاني



سلسلة كُن

٨

كُن رفيقاً



إعداد
مصطفى فهمي

إشراف
عاطف عبد الرشيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرِّفْقُ هُوَ الشفقَةُ ولِينُ الجَانبِ في مُعَامَلةِ خَلْقِ الله كَافَّةً، منَ الإنْسانِ والطَّيرِ والحَيوانِ؛ يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: "إنَّ الرِّفْقَ لاَ يكُونُ فِي شَيءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلا شانَهُ" [مسْلِم]. وَعَنْه أيْضًا أنَّهُ قَالَ: "إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرفْقَ فِي الأمْرِ كله، ويُعطِي عَلَى الرفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى ما سِوَاه" [ابن ماجه]. والْمُجْتمعُ الَّذي يَسُودُه الرِّفْقُ يَنْعمُ بالسَّلامِ والأمْنِ، والحبِّ والإخَاءِ، ويكُونُ مُتَرَابِطًا قَوِيًّا، كَالجسَدِ الواحد، إذَا اشتكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَداعى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى.

ولنَتَذَكَّرْ جَميعًا ذَلكَ الثَّوابَ العَظِيمَ الذِي يُجازي اللَّه بِهِ عَبدَهُ الرفيقَ حَيثُ يُدْخلُهُ الجَنَّاتِ ذَاتِ النَّعيمِ الْمُقِيمِ؛ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: "أتَدْرُونَ مَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار يَومَ القيامَةِ؟ كُلُّ هَين لَينٍ سَهْلٍ رقيقٍ" [الترمذي].

كُنْ رَفيقًا

يَدْعُو الإسْلاَمُ إِلَى الرِّفْقِ واللينِ في الأمْرِ كُلِّه، وَمَا أعْظَمَ الخيرَ الذِي يَحصُلُ عَليه الْمُسْلِمُ الرَّفيق، قَالَ رَسُولُ اللهِ

ﷺ: "مَنْ أُعْطِيَ حظَّهُ مِنَ الرفْقِ فَقَدْ أعْطِيَ حظَّهُ مِنَ الخيرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظّهُ مِنَ الرفْقِ فقَدْ حُرِمَ حظّهُ مِنَ الخير" [مُسْلم].
ومِنْ صُوَرِ الرفْقِ التِي تَدعُو الْمُسْلِمَ إِلَى الرّفقِ فيها: الرفقُ مَعَ المسلمينَ، ومعَ غير الْمُسْلمينَ، ومَعَ الحيَوانِ والطَّيرِ.

كُنْ رفيقًا معَ المُسْلِمِين

الرفْقُ واللّينُ مِنْ صفاتِ الْمُسْلِمِ الحقيقيِّ فَهُو لَينٌ فِي تعامُلِه معَ المسلمينَ عامةً، وَمَعَ طلبةِ العِلْمِ، ومَعَ الوالدينِ، وَرَفيقٌ بالخَدمِ فَلا يُميزُ فِي رِفْقِه بينَ فئةٍ دُونَ الأُخْرَى.

١ ـ **الرّفْقُ بِعامَّةِ النَّاسِ**: يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يكُونَ رَفيقًا بعَامةِ النَّاسِ حتَى يحظَى بِحبِّهِمْ ومَودَّتِهِمْ؛ يُرْوَى أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ نصَحَ السيدةَ عَائشَةَ قائلاً: "يَا عَائشةُ، إنَّ اللَّه رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعطِي عَلَى العُنْفِ، وَما لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سواهُ" [ابن ماجه].

٢ ـ **الرّفْقُ بِطَلَبَةِ العِلْمِ**: لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الْمُعلّمِ الرَّفِيقِ بِطَلَبَةِ العِلْمِ؛ حَيْثُ إنَّ ذَلَك يُحبّبُهمْ فِيه، وَيُرَغّبهُمْ فِي التزودِ مِنْ عِلْمه؛ ولَقَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ ذَلكَ بِقَولِه: "عَلّمُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا، فَإِنَّ المعلّمَ خَيرٌ مِنَ الْعُنْفِ" [البيهقي].

٣ ـ **الرِّفْقُ بِالأَطْفالِ** : لَقَدْ أَوْلَى الإِسْلاَمُ فِئَةَ الأَطفَالِ رِعَايةً خَاصةً، وَحَثَّ عَلَى الرِّفقِ بِهِمْ، واللّينِ مَعَهُم، فَهم أَحوجُ فِئَاتِ الْمُجتَمعِ إِلى ذَلك؛ يُروى أَنّ رَسُولَ الله ﷺ خَفَّفَ مِنْ صلاتِه ذَاتَ مرةٍ، فَلَما سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: "سَمِعْتُ بُكاءَ صَبيٍّ فَخَشِيتُ أَنْ يَفْتِنَ أُمَّهُ" [البخاري].

٤ ـ **الرِّفْقُ بِالنِّسَاءِ** : تَحْتَاجُ فِئَةُ النِّسَاءِ إِلَى الرِّفقِ بِهَا، والْحُنُوّ عَلَيها؛ فالمرأَةُ مَخْلُوقٌ ضَعيفٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَرْعَاهُ، ويَقُومُ عَلَى العِنَايةِ بِه؛ يَقُولُ القُرآنُ الكَريمُ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، ويَقُولُ رَسُولُنا ﷺ: "لاَ يُبْغضْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْها آخَرَ" [مسلم].

٥ ـ **الرِّفْقُ بالخَدَمِ** : عَلَى الْمُسْلِمِ أَلاَّ يُهِينَ خَادِمَهُ، وَأَنْ يُحسِنَ مُعَامَلَتَهُ. وأُولَى دَرَجاتِ الْمعَامَلَة الحَسَنَة مَعَ الخَادِمِ، أَنْ يَرْفقَ بِه سَيدُهُ، وَلاَ يَقْسُو عَلَيْه؛ عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أفعلْهُ ألا فَعَلْتَ كَذَا" [متفقٌ عليه].

٦ ـ **الرِّفْقُ بالوَالِدَينِ** : لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِرِفْقِ الْمَرْءِ

وإحْسَانه مِنْ وَالِديْه، فَهُما أَقْرَبُ النَّاسِ إلى قَلبِ المرء وأحَقّهم بمودَّته ورِفْقِهِ؛ يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٧ - **الرِّفْقُ بالأَقَاربِ والجِيرانِ** : لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُبِيحُ للمسْلِمِ إسَاءَةَ مُعامَلَةِ أقارِبه أَوْ جيرانه، فَللأَقَاربِ عَلَينا حَقُّ صِلَةِ رَحِمِهِمْ، ولِلجيرانِ حَقُّ التَّقَرُّبِ إلَيهمْ بِكلِّ خَيْرٍ مُمْكِنٍ؛ قَالَ تَعالَى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، ويَقُولُ النبيُّ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ جَارَهُ" [متفق عليه].

٨ - **الرِّفْقُ باليَتَامى والْمَسَاكِين** : اليَتَامَى والْمَسَاكِينُ أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَى الرِّفْقِ بِهِمْ، فَهُم جُزْءٌ مِنْ مُجْتَمعِنا الإسْلاميِّ؛ يَجِدُونَ فِي الرِّفْقِ بِهم عِوَضًا عَنْ فَقْدِ آبَائهم؛ وَمَا يُواجِهُونَ مِن ظُروفٍ قَاسِيةٍ؛ قَالَ تعالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، ويَقُولُ أيضًا: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ

﴿ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ الرِّفْقِ مَعَ الْمُسلمين بِما يَلي :**

١ ـ **مُراجَعَةُ النَّفْسِ :** عَلَى الْمُسلمِ أَنْ يُنقِّيَ أعْمالَهُ ويُخلِّصَها مِمَّا يُغْضِبُ اللهَ، فالْمُسْلِمُ مِرآةُ نَفْسِه، يُحدِّدُ بينَهُ وبينَ ذاتِه مَا يمكنُ أَنْ يُغْضِبَ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ فيَتَجَنَّبُهُ دُونَ تَرَدُّدٍ، ومَا يرضَى عَنْهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ فيلزَمُهُ وَ لاَ يُفرِّط فيه، وَدَائمًا مَا يُلازِمُ الذَّنْبَ قَسْوَةُ القَلْبِ، ولِذَلِكَ فالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فأطْعِمِ المِسْكِينَ، وامْسَحْ عَلَى رَأْسِ اليَتِيم" [أحمد].

٢ ـ **الاقْتِدَاءُ بأَهْلِ الرِّفْق :** يَقْتَدِي الْمُسْلِمُ بِأَهْلِ الرِّفْقِ، وَيَحْذُو حِذْوَهُمْ، وَيَلْزَمُ طَرِيقَهُمْ، وَيَعْمَلُ بِمنهَجِهِمْ.

رِفْقُ الرَّسُول : الرَّسُولُ ﷺ هُو إِمَامُ أَهْلِ الرِّفْقِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ رَفِيقًا لينًا، ولَمْ يكُنْ فَظًّا غَلِيظًا؛ فذاتَ مرةٍ، كانَ النبيُّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِه، وكَانَ معهُ غلامٌ أَسْوَد يُقالُ لَهُ أَنْجَشَة يَحدُو الإِبِلَ (يَسُوقُها)، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: "يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوقًا بِالقَوَارِيرِ (يقصدُ النساءَ)" [مسلم].

رِفْقُ الصَّحابَـةِ : اقْتَدى الصحابَةُ بالرَّسُولِ ﷺ، فَلانَـتْ قُلُوبُهُمْ، وتَخَلَّقُوا بِـالرِّفْقِ فِـي كُـلِّ أُمُـورِهِمْ؛ سَـأَلَ عُمَـرُ بـنُ الخطَّابِ ـ رَضي اللهُ عنه ـ أَحَدَ وُلاتِه قـائلاً: "كَيْـفَ أنْـتَ مَـعَ أهْلكَ؟ فَأَجابَهُ بِقَوْلِه: إذَا دَخَلْتُ سكَتَ النَّاطِقُ. فَقَالَ لَهُ عُمَـرُ: اعْتَزِلْ، فَإنَّكَ لاَ ترفقُ بأَهْلِكَ، فَكَيفَ بِأُمَّةِ مَحمَّدٍ ﷺ.

رِفْقُ التَّابِعين : لَقَدْ تَمسكَ التابِعُونَ بالرِّفقِ واللِّينِ، فَكَـانُوا بذَلكَ مِنَ الصَّالحين؛ يُروى أَنَّ أباَ جَعْفَرٍ المنْصُورَ قَـال لِرَجُـلٍ أَغْلَظَ فِي وَعْظِه لَهُ: "يَا هَذَا، ارْفُقْ بِي، فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ مَـنْ هُـو خيـرٌ مِنْكَ، إِلىَ مَنْ هُـوَ شَـرٌّ مِنِّي، أرْسَـلَ اللهُ مُـوسَى ـ عليـه السَّلام ـ إلَى فِرْعَوْنَ فَقَـالَ لَـهُ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ فَنَدمَ الرَّجُلُ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ عُنْفٍ وغِلْظَةٍ.

٣ ـ تَـذَكُّرُ ثَـوَابِ الرِّفْـقِ وعِقَـابِ القَسْـوَةِ : يمـنحُ اللهُ أَهْلَ الرِّفْقِ أَجْـرًا عَظِيمًـا، ويُعَاقِـبُ كُـلَّ قَـاسٍ عَلَـى قَسْـوَتِه. وكَفَى بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَتَـذَكَّرَ نَعِـيمَ الجنَّـةِ وَجَحـيمَ النَّـارِ ليَتَخلَّـقَ بالرِّفْقِ ويَنْبِذَ القَسْوَةَ؛ يَقُولُ تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

* ثِمارُ التمسكِ بخلقِ الرِّفْقِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ :

١- **حُبُّ اللهِ تَعَالَى** : إنَّ أَوّلَ مَا يَجْنِي الرَّفِيقُ مِنْ ثَمَرَةِ رِفْقِه حُبُّ اللهِ لَهُ، فَهُوَ - عزَّ وجلَّ - يَجْزِي عَلَى الرِّفْقِ خَيْرًا وَثوابًا عَظِيمًا؛ قال ﷺ: "إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" [مسلم].

٢- **حُبُّ النَّاسِ** : إِلَى جَانِبِ مَا يَنْعَمُ بِهِ الْمُسْلِمُ الرَّفِيقُ مِنْ حُبِّ اللهِ لَهُ، فَإِنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - يُلْقِي مَحبَّتَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِه.

٣- **نَعِيمُ الجَنَّةِ فِي الآخِرةِ** : يُثِيبُ اللهُ يومَ القيامَةِ عَبْدَهُ الرَّفِيقَ بِالجَنَّةِ وَنعيمِها المُقيمِ جَزَاءَ رِفْقِه وَلِيْنِ جَانِبِهِ؛ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: " أَيُّما وَالٍ وُلِّيَ فَرفقَ وَلاَنَ، رَفقَ اللهُ تَعالَى بِهِ يَومَ القِيَامَةِ " [ابنُ أبي الدُّنيا]، وَيَقُولُ فِي حَدِيثٍ آخر: " أتدرون مَنْ يُحرَّمُ عَلَى النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ؟ كُلُّ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ " [الترمذي].

كُنْ رَفِيقًا مَعَ غَيْرِ المُسْلِمِين

مِنْ خُلُقِ المُسْلِمِ الكريمِ أنْ يرفقَ بِغَيرِ المُسْلمين، ولاَ يَتَّخِذ مِنْ شِركِهم باللهِ ذَرِيعةً لِلقَسْوةِ عَلَيهِمْ. فَلِينُ المُسْلِمِ

ورِفْقُه قَـدْ يُغـري غَـير المُسْـلِمينَ إلى الـدُّخُولِ فـي الإسْـلاَمِ والإِيْمَانِ به.

*** كُنْ ملتزمًا بِخُلُقِ الرِّفْقِ مَعَ غَيْرِ المُسْلِمينَ بِمَا يَلي :**

١ ـ إِسْـدَاءُ الخَـيرِ إلـيهِمْ : يَتَّضِـحُ رِفْـقُ المُسْـلمِ بغَـيرِ المُسلِمينَ إذَا مَا تعَّودَ إِسْدَاءَ الخَيرِ إِلَيْهم مَا دَامُوا غَيرَ محاربِينَ لِدينِ اللهِ، وغَيرَ منتهكين لِحُرمَةِ الإِسْـلاَمِ والمُسْـلمين؛ يَقُـولُ الذِّكْرُ الحكيمُ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٢ ـ أَكْـلُ الطَّعـامِ مَعَهُـمُ : أَجـازَتْ شَـرِيعةُ الإِسْـلامِ للمُسْلمِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَعامِ غَيرِ المُسْـلِمينَ، وَأَنْ يَقْبَـلَ هَـدِيتَهم وَيُهادِيَهم بِأحْسَنَ مِنْها؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

٣ ـ مُجاهدةُ النَّفْسِ: لَنْ يتحلَّى المُسْلمُ بـالرِّفْقِ مَـعَ غَـيرِ المُسْلِمينَ إِلاَّ إِذَا جَاهَدَ نَفْسَهُ وَحَمَلَهـا عَلَـى حُسْـنِ مَعَـامَلَتِهِمْ والرِّفْقِ مَعَهُم؛ فلمّا تعرّضَ الرسـولُ ﷺ لأذَى النـاسِ، جـاءهُ مَلَكُ الجِبَالِ، وعرضَ عليهِ أنْ يُطْبِقَ عَلـيهمُ الجَـبَلين، رَفَـض

الرسُولُ ذَلكَ قائلاً: لاَ، بَلْ أرْجوُ أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أصْـلابِهِم مَنْ يَعْبدُه وَحَدَهُ وَلاَ يُشْرِكُ بهِ.

*** ثِمَار التمسك بخلقِ الرفقِ معَ غير المسلمين :**

١ ـ **الاستجابَة لدين اللَّه :** يُغري رِفْقُ المُسْلِم وَلينُه بغـير المُسلِمينَ إلَى الاقْتِنَاعِ بسَمَاحة الإسْلامِ والاسْـتجَابةِ لدعْوَتـهِ، وكَمْ مِنْ كافرٍ أغْراهُ رفقُ الرَّسُول بِهِ إلَى الـدخولِ في الإسـلامِ. يُرْوَى أنَّ يَهُوديًا كَانَ قدْ أقْرضَ الرسُـولَ بَعْـضَ المَـالِ، وراَحَ يَطلبهُ مِنْ رسُولِ اللَّه ﷺ ولَكنه لَمْ يَجد مـا يُعطيـه لَـهُ، فقَـالَ اليَهوديّ: " لاَ أفارِقُكَ يا مُحمَّد حتَّى تُعْطيني. وَحَـبَسَ الرَّجُـلُ اليَهُوديُّ الرَّسُولَ ﷺ عَنِ الحَركَة حتَّى جَاءَ الصَّـباحُ، فَاغْتَـاظ الصَّحابةُ وقَالُوا: يهوديٌّ يَحْبسُكَ يَـا رسـولَ اللَّـه؟ فَقَـالَ ﷺ: مَنَعني ربِّي أنْ أظْلِمَ مُعاهِدًا وَغَيْـرهُ، فَلَمَّـا تَرجَّـلَ النَّهـارُ قَـالَ اليَهُودِيُّ: وَاللَّه مَا فَعَلْتُ إلاَّ لأنْظُرَ إلَى نَعْتكَ فِي التَّوْراةِ؛ لَيْسَ بفَـظٍّ، وَلاَ غلـيظٍ، وَلاَ صـخَّابٍ فـي الأَسْـواقِ، ولاَ مَتَـزِيٍّ (متَّصِف) بِالْخنَا (قَوْلِ الزُّورِ) أَشْهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّـه، وأنَّـكَ رسولُ اللَّهِ، وهذَا مَالِي، فاحكُمْ فيهِ بِمَـا أَرَاكَ اللَّـه" [البيهقـي والحاكم].

٢ ـ **تأكيدُ سَمَاحَة الإِسْلام :** إِذَا التَزَم المُسْلم بالرفْقِ مَعَ غَير المُسْلِمينَ كَانَ بُرْهانًا عَلى سَمَاحَةِ الإِسْلامِ الَّذي أَرسَلَه اللَّهُ لِخَيْر النَّاسِ وَهِدَايَتِهم.

كُنْ رفيقًا مَعَ الحيَوان

الإِسْلامُ دينُ رِفْقٍ بسائِر مَخْلوقَات اللَّه مِنْ إنسانٍ وَحَيَوانٍ وَطَيرٍ، وَقَدْ أَقَرَّ الإِسْلامُ ضَوَابِطَ عَديدَةً تُلْزِمُ المُسْلمَ بِأَنْ يكُونَ رَفيقًا بالطَّيرِ والحيَوَانِ؛ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أنَّه قَالَ: (عُذِّبَتِ امرأةٌ في هرَّة حَبَسَتْهَا حَتّى مَاتَتْ، فَدَخَلَت النَّار، لاَ هي أطعَمتها وسَقَتها، وَلاَ هِيَ تَركَتها تأكُلُ مِنْ خشَاشِ الأَرْضِ) [متّفقٌ عليه]، ويُروَى أنَّ الرَّسُولَ رَأى قريةَ نَمْلٍ قَدْ حُرِّقَت، فَقَالَ ﷺ: " مَنْ حرّقَ هَذَا؟ فَقَالُوا: نَحْنُ، يَا رَسُولَ اللّه، فَقَالَ ﷺ: (إِنَّهُ لاَ ينْبغِي أَنْ يُعذِّب بالنَّار إلاَّ رَبُّ النَّار) [أبو داود]. وَهكذَا، فَقَدْ كَفَلَ الإِسْلامُ لِلحَيَوانِ والطَّير حَقَّ الرفقِ بها وَحسنِ مُعَامَلتِها.

*** كُنْ مُلتزمًا بخلقِ الرفقِ معَ الحيوانِ بِما يَلِي :**

١ ـ **إدْرَاكُ غايـة خَلْقِهـا :** خَلَقَ اللَّهُ الحَيَوانَ والطير لإعْمارِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَخَّر اللَّه الدّوابَّ لِخدمةِ الإنسانِ، إذْ

يَستخدمُها فِي الحمْل والنَّقلِ، والعَمل والحرثِ، كمَا يستفيد بلحُومِها وألبانِها وأصوافِها وغيرِ ذلَك؛ يَقُولُ الرَّسولُ الكريمُ ﷺ: "مَا مِنْ إنْسانٍ يقتلُ عُصفوراً فَما فَوْقَها بغَير حقِّها إلاَّ سَأله الله عنها يَوْمَ القيامة". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، ومَا حقّها؟ فَقَالَ ﷺ: " أَنْ يَذْبَحهَا، فَيأكُلَها، ولاَ يَقْطَعَ رَأسَها فَيَرمِيَ بِه" [النسائي].

٢ ـ **القُدوةُ**: يَقْتَدِي المسلمُ بالرَّسُول وصَحابتِه وتَابِعيهِم في التخلقِ بالرفْقِ واللينِ مَعَ الحيَوانِ والطَّيرِ.

رِفقُ الرَّسُول بالحيَوان: كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أرْفَقَ النَّاسِ بَمخْلوقَاتِ اللَّه مِنْ حَيوَانٍ وطَيْرٍ؛ فقد دَخَلَ ﷺ حَائطًا لِرَجلٍ مِنَ الأنْصارِ فَإذَا بِه جمَلٌ، فَلَمَّا رأى الجَملُ الرسُولَ ﷺ جَرْجَرَ وذرفَتْ عيناهُ، فَمَسَحَ النبيُّ سَنَامَهُ، فَسَكنَ الجملُ، فَقَالَ ﷺ: " مَنْ ربُّ (صاحبُ) هَذا الجَملِ؟ فقالَ فتًى: هَذا لِي يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ ﷺ: أفَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ فِي هذه البَهيمة التِي مَلَّكَك اللَّهُ إيَّاهَا، فإنَّهُ يَشْكو إلَيَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ (تُتْعِبُهُ).

رِفْقُ الصَّحابِة بالحيَوانِ: أَخَذَ الصَّحابة عَن الرَّسول ﷺ خُلُقَ الرّفقِ مَعَ الحيَوَانِ، فَتمكّنَ مِنْ أنفُسهِم؛ يُحكَى أنَّ عَمْرَو ابنَ العاص ﷺ لَمَّا فَتَح مِصْرَ، نَزَلَتْ بفُسْطَاطِه (خَيْمَتِهِ) يمامةٌ

فَأَخَذَتْ مِنْ أعلاهُ عُشًّا، وَحِينَ أَرَادَ الرَّحيلَ رَآهَا، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُهِيجَهَا بِهَدْمِ الخيمةِ، فَتركَها.

رفْقُ التَّابعِينَ بالحيَوَانِ: مِثْلمَا اتَّصفَ الصحَّابةُ بالرِّفقِ مَعَ الحيَوان، اتصفَ التابِعونَ أيضًا بالرِّفقِ واللِّينِ مَعَ الحيوانِ؛ يُحكَى أنَّ أَميرَ المؤمنينَ ـ المُعتْصِمَ ـ رَأى ذَاتَ يومٍ كَلْبًا مكسورَ السَاقَينِ يَلهَثُ مِنْ شِدَّة العَطشِ، فَنَزَلَ مِنْ عَلَى جَوادِه، وَأَخَذَ يَغْتَرِفُ بيدَيْه مِنَ النهرِ ويسقيه حَتَّى حَرَّكَ الحَيوانُ ذَيْلَه شُكرًا لَهُ عَلَى رِفْقِه به، وَبِرّه لَهُ. وَلَمَّا عَادَ المعتصِمُ إِلَى عَاصِمَةِ مُلْكِه جَمَع الأمَراءَ والأغنياءَ، وأسَّس تَحتَ رِعَايتِه جَمْعيةَ الرِّفْقِ بالحَيوانِ لأوَّل مَرَّةٍ في التَّاريخِ البَشَرِي.

*** ثِمَارُ التمسّكِ بخلقِ الرفق بالحيَوانِ:**

١ ـ رَحمْةُ اللَّهِ: يَلْقَى المسلمُ الرَّفيقُ بمخلوقَاتِ اللَّه من طيرٍ وَحيَوانٍ ثوابًا عظيمًا يَتَمَثَّلُ فِي رَحمْة اللَّه تعَالَى بهِ، بِأنْ يُدْخلَهُ الجنَّة ويبعِدَهُ عنِ النَّار؛ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "مَنْ رَحِمَ ولَوْ ذبيحَةَ عُصْفورٍ، رَحِمَهُ اللَّه يَوْمَ القِيامةِ" [الطبراني].

٢ ـ إعلاءُ شَأنِ الإسْلام: الْمُسْلِمُ الحقيقيُّ يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ نموذجًا يُحتَذَى بِهِ فِي سُلُوكِ الرِّفقِ بالحَيوانِ أَمَامَ غير

المُسْلِمينَ، وفِي ذَلِكَ إعْلاءٌ لتعاليمِ الإِسْلاَمِ، وتَأكيدٌ بأَنَّهُ دينُ رِفْقٍ بكلِّ مَخْلوقاتِ اللَّه عزَّ وَجَلَّ.

لاَ تُكنْ قَاسِيًا

القَسْوةُ خُلقٌ ذَميمٌ يكْرهُه اللهُ ورسُولُهُ، والشَّخْصُ القَاسِي لاَ يكُونُ ليِّنًا رفيقًا فِي تعامُلاتِه مَعَ مخلوقَات اللَّه مِنْ إنسانٍ وطير وحَيَوان.

١ ـ **القصَاصُ مِنَ القَاسِي**: لاَ يَتْركُ اللَّهُ عَبْدَه القاسي دُونَ قِصَاصٍ منْهُ يَوْمَ القِيامة، عِقَابًا لِقَسْوَتِه؛ قَالَ ﷺ: "مَنْ ضَربَ سَوْطًا ظُلْمًا اقْتُصَّتْ مِنْهُ يَوم القِيَامة" [البزّار].

٢ ـ **حِرْمَانُ الخَيرِ**: يُعاقِبُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ العَبْد القاسي بأَنْ يَحْرِمَه الحظَّ منَ الخَيرِ؛ يَقُولُ ﷺ: " مَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخير" [مُسْلِم]

٣ ـ **قَسْوةُ اللِّسانِ واليد**: تَأْخُذ القَسْوةُ أشْكَالاً عديدةً، فَقَدْ تكونُ مِنْ خِلال اللِّسَانِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ اليَد؛ يَقُولُ ﷺ: "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلمُونَ مِنْ لِسانِه ويَده" [متفق عليه].

٤ ـ **قَسْوَة القَلْب**: أشَدّ أنْواعِ القَسْوةِ أنْ يكُونَ المَرء قَاسِيَ القَلْبِ، فَالقُرآنُ الكرِيم يَقُولُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن

تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴾ [الحديد: ١٦].

٥ - إيذاءُ المؤمنينَ: لا يَتورَّعُ الشَّخْصُ المتّصفُ بالقَسْوَةِ عَنْ إيذاءِ الْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمنات، وعِقَابُ ذَلكَ منَ الله شديدٌ؛ يَقُولُ ربّنا - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

اِعْرِف نَفْسَك.. هلْ أنتَ رفيقٌ؟

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَدِّدَ دَرَجَةَ تَوَافُرِ هَذَا الخُلُقِ الحَمِيدِ بِكَ، فَأَجِبْ عَنِ الأسْئِلَةِ التَّالِيَةِ بِصِدْقٍ مَعَ النفسِ، دُونَ تَحرِيْفٍ أَوْ مُغَالَطَةٍ.

١ - هَلْ تُعامِلُ أَهْلَكَ بِرِفْقٍ ولِينٍ؟

٢ - إِذَا أَخْطأَ جَارُكَ بحقِّكَ، فَهَلْ تَقْسُو عَلَيه إِذَا أمكنكَ ذَلكَ؟

٣ - هَلْ تُعالِجُ غَضَبَكَ مِنْ شَخْصٍ بِالرِّفْقِ واللِّينِ؟

٤ - هَلْ أَنْتَ مِمَّنْ يُطعِمُونَ المسَاكِينَ وَيقُومُونَ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ؟

٥ ـ إِذَا مَا اقْتَرَبَتْ مِنْكَ قِطَّةٌ أَثْنَاءَ تَنَاوُلِكَ الطَّعَامِ، هَلْ تَرْفُقُ بِهَا وَتُطْعِمُهَا؟

٦ ـ إِذَا وَجدتَ أَحَدًا مِنْ غيرِ المُسْلمين فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَهَلْ تَرْفُقُ بِهِ وتُساعِدُهُ؟

٧ ـ هَلْ تَتَّفِقُ مَعَ مَنْ يُعامِلُ أَهْلَ بَيْتِهِ بِعُنْفٍ وقَسْوةٍ حَتَّى يَهَابُوه؟

٨ ـ هَلْ تَنْصَحُ أصدقاءَكَ بالرِّفْقِ مَعَ الحيوانِ والطَّيْرِ؟

٩ ـ إِذَا وُلِّيتَ أَمْرَ المسلمين، فَهَلْ ترفقُ بِهِمْ أم أَنَّك تَخْشَى أن يُغرِيَهمُ ذلِكَ إِلَى عَدمِ مهابَتِك؟

١٠ ـ هَلْ تَثِقُ بأنَّ جَزَاءَ الرِّفْقِ مَحبّةُ اللهِ والنَّاسِ؟

* * *

سلسلة كن

١-كن أميناً
٢-كن باراً
٣-كن تائباً
٤-كن حليماً
٥-كن حيياً
٦-كن راضياً
٧-كن رحيماً
٨-كن رفيقاً
٩-كن زاهداً
١٠-كن شاكراً
١١-كن شجاعاً
١٢-كن صابراً
١٣-كن طائعاً
١٤-كن صادقاً
١٥-كن عادلاً
١٦-كن عزيزاً
١٧-كن عفواً
١٨-كن عفيفاً
١٩-كن كتوماً
٢٠-كن كريماً
٢١-كن مؤثراً
٢٢-كن متأنياً
٢٣-كن متعاوناً
٢٤-كن متواضعاً
٢٥-كن متفائلاً
٢٦-كن متوكلاً
٢٧-كن محباً
٢٨-كن مخلصاً
٢٩-كن مستقيماً
٣٠-كن مشاورا
٣١-كن مضحياً
٣٢-كن معتدلاً
٣٣-كن نصوحاً
٣٤-كن ورعاً
٣٥-كن وفياً

٨١٠٠٥٤